2008-04-11-0001-L

لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين
في لبنان

نقابة الصحافة ٢٠٠٨/٤/١١

علم وخبر ٢٩/أد

الأشـــباح

سنة أخرى وملف المفقودين ما يزال على حاله..
ملت منا الكلمات.. كما ملت من قبلها الصرخات، اللعنات، اليافطات.. أماكن الاعتصام... حتى مفاهيم العدالة ملت منا، صرخت: "ألا تفهمون، أنا بنت القوة.. فما هي قوتكم؟ أين هي كنوزكم؟ ما هي العصبيات التي تلتف حولكم كالأفاعي؟ أو لنقل: كم قتيل في ذمتكم؟"..
كل شيء ملّ منا، وقبل كل شيء السياسيون، فتراهم يصرخون بوجهنا: "أما زلتم هنا؟ اغربوا عنا، اغربن.. حان أوان التقاعد.. يجب أن تفسحوا المجال لغيركن، لمجموعات أخرى، لدموع ما زالت طازجة، لدموع ما زالت تؤمن بذاتها، وبقدرتها على التأثير.. اغربن عن وجوهنا، لا بد من مخطوفين جدد، من مفقودين جدد، من جمعيات وأمهات جديدة.. آن أوان الآن!"
كلّ شيء ملّ منا.. حتى المرايا باتت تعكس وجوها أخرى، وجوها أكثر نضارة وحداثة.. دموع القرن الحادي والعشرين.. نعم، الكباش يكاد يبلغ نهاياته: وعلينا أن نخلي الساحة للذين يصنعون التاريخ، للذين يصنعونه بالقهر والدمّ..
ولا أخفي عليكم يا سادتي: كاد الأهالي هذا العام أن لا يعقدوا مؤتمرا صحافيا، كادوا يتقاعدون، كادوا يعلنون الهزيمة.. فإذا طالبنا السّنة الماضية بمنع أمراء الحرب الذين يتنكّرون لملفنا من تولي مناصب عامة، انتهت السنة وأمراء الحرب في قلب مجلس الأمن، يتوالون الواحد بعد الآخر ليخطبوا عن العدالة وعن قرب إحقاقها.. فما معنى أن نطالب بأيّ شيء اليوم؟ لكن ثمّة شيئاً غامضاً، شيئا عميقا يوقظنا دوما، يوقظ الأهالي ويقول لهم: ولكن أين هم أحبابكم؟ أحياء؟ فلماذا لا تبحثون عنهم؟ أمواتا؟ فلماذا لا تكرمونهم؟ .. هو السؤال نفسه لا ينتهي، حجّته الأقوى أنّ لا وجود للعدم. فبامكان المجتمع أن يتأقف، أن ينزلق من جهنم إلى جهنم، أن يستلقي في أحضان كل شيطان، أن يضع القوانين الأكثر ظلما، أن يجلّ القاتل وأن يحاكم الضحية، بامكانه أن يفعل كل هذه الأشياء.. لكن العدم يبقى مستحيلا.. وهذا هو بالتحديد سرّ قوتنا.. وهذا هو بالتحديد ما يخشونه رغم كل ما بلغوه من جاه وسؤدد.. فعاجلا أو آجلا، ستأتي ريح قويّة، فتزيل طبقة التراب عن المقابر الجماعية التي أسسوها هنا وهنالك، فيعود المجتمع إلينا وقد ازداد إنسانية ونعود إلى قلبه! وإذ ذاك، ينتهي الكباش..
نعم، سنة أخرى، أيها الأصدقاء، وملف المفقودين ما يزال على حاله.. قوته ليست فينا، ليست في عزيمة الأهالي التي قد تقوى حينا وتضعف أحيانا كما يريد كثيرون، إنما هو في مكان تعجز عنه أياديهم ونواميسهم: انه في قوانين الأرض التي ترفض العدم، ترفض الاندثار! فكأنما المفقود الذي أريد طمسه، بات رغم أنوفهم في كلّ مكان وزمان، شبحا يزداد عزما بقدر ما يزداد التنكر له، شبحا يطارد القاتل حتى يخرّ طالبا الصفح. هذا ما نؤمن به أيها الأصدقاء، فعسى وعلّ أن نحقق في العام القادم ما عجزنا عنه في الأعوام السابقة.